

## الحلقة ( ٢ )

عنوان الحلقة / تاريخ تدوين التفسير وتعدد موضوعاته.

عناصر الحلقة:

١. إرسال كل رسول إنما يكون بلسان قومه
٢. الموقف من المعرب في القرآن
٣. التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
٤. التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم
٥. التفسير في عهد التابعين رحمهم الله
٦. التفسير في عصور التدوين
٧. تأثير التفسير بالعلوم الأخرى
٨. التفسير الموضوعي

### ❖ إرسال كل رسول إنما يكون بلسان قومه:

جرت سنة الله سبحانه وتعالى أن يرسل كل رسول بلسان قومه لتتم مخاطبتهم بما يفهمون وبما يعرفون بلسان أولئك الأقوام قال تعالى { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** } فيبين الله في هذه الآية الحكمة من إرسال الرسول بلسان قومه لإتمام البيان وإقامة الحجة عليهم، أرسل الله تبارك وتعالى من أولئك الرسل أفضلهم وخاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى قومه العرب وكانوا أهل فصاحة وبلاغة فجاءهم بهذه المعجزة فإن الله سبحانه وتعالى يعطي كل نبي معجزة من جنس ما برع وفذ وتفنن فيه قومه، قال تعالى: { **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** } وقال تعالى: { **وَإِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** } فالفاظ القرآن عربية ووجوه معانيه واضحة بينة لمن فتح الله عليه وقرأ في علم التفسير وكان عنده إمام بلغة العرب.

### ❖ الموقف من المعرب في القرآن

اختلف العلماء أنه هل في القرآن كلام أعجمي؟ لا شك أنه لا يوجد في القرآن كلام أعجمي لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين خلاف من قال بذلك، لكن ما القول في بعض الكلمات التي قيل أن أصولها أعجمية؟ للعلماء في ذلك مذاهب كثيرة منهم من يقول أنه ليس في القرآن كلام أعجمي البتة وليس فيه كلمات عربية، ومن العلماء من يقول بل أن في القرآن كلمات أعجمية عربت قبل نزول القرآن استعملها العرب وأدخلوا عليها قواعدهم ونطقهم وغير ذلك، وهناك قول ثالث أن هذه

الكلمات تعتبر مما توافقت فيه لغة العرب مع اللغات الأخرى، وإلا ما الدليل على أنها عند أولئك وليست عند العرب.

وهذا القول هو الذي انتصر له إمام المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله فهو يري وهو رأى المحققين من أهل العلم أيضاً أنها كلمات اتفقت فيها ألفاظ العرب مع ألفاظ غيرهم من بعض أجناس الأمم مثل قوله تعالى

{يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} قيل الكفلان ضعفان من الأجر بلسان الحبشة، فيقول من قال بالقول الثالث: ما الدليل أنها عربت من لغة الحبشة ؟ فهي من الكلمات التي توافقت فيها اللغات عند العرب وغيرهم وكلهم نطقوا بهذه الكلمات، أيضاً في قوله تعالى {بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ} قيل أنها فارسية وقد عربت، فيقول الإمام الطبري رحمه الله والمحققون من أهل العلم الذين يقولون بالقول الثالث ما الدليل على ذلك نطق بها العرب ونطق بها أولئك على حد سواء، وهذا مما توافقت فيه اللغات والله أعلم.

يقول الطبري رحمه الله: " وقد ظهر أن بعض الألفاظ اتفقت فيها الألسن المختلفة كالدرهم والدينار والدواء والقلم والقرطاس فأى مرجح يجعل اللفظ في اللغة بعينها ثم نقل إلى اللغة الأخرى فليس أحد الجنسين أولى بأن يكون أصل ذلك كان من عنده من الجنس، ومدعي ذلك يدعي شيئاً بلا دليل"، والمسألة خلافية قديمة بين العلماء وأيضاً لا تزال الدراسات تتواصل في هذا العلم وهو علم المعرب والمؤلفات فيه قديمة وحديثة،

### ❖ التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم :

النبى صلى الله عليه وسلم بين لأمته معاني القرآن وفسره لهم وقد اختلف هل فسر الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن كاملاً **والصحيح** أنه صلى الله عليه وسلم ما فسر القرآن كاملاً وإنما بين لأمته وبين للصحابة رضى الله عنهم ما أشكل عليهم، وكان تفسيره صلى الله عليه وسلم على نوعين:

■ **النوع الأول تفسير ألفاظ ومفردات** مثل ما تم ذكره في الحلقة السابقة أن النبى صلى الله عليه وسلم فسر القوة ببعض أنواعها أو بأشرفها ألا وهي الرمي لقول الله عز وجل {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} قال صلى الله عليه وسلم (ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي)، ولما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الأكبر؟ قال صلى الله عليه وسلم هو يوم النحر،

■ أما **النوع الثاني فهو تفسير المعاني** فالنبى صلى الله عليه وسلم بين لنا صفة الصلاة ومواقيتها واستنبط العلماء بعد ذلك شروطها وكذلك أنصبة الزكاة وأحوالها وأيضاً الصيام وأحكامه المرتبطة به والحج وإلى غير ذلك من الأحكام فالسنة موضحة وشارحة لكلام الله عز وجل كما روى في هذا عن الإمام الشافعي رحمه الله، والله سبحانه وتعالى يقول:

{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} والله سبحانه وتعالى بعث نبيه

صلى الله عليه وسلم مبلغاً وداعياً ومن ذلك أنه بين لأئمة هذا القرآن الكريم وأوضحه لهم لكن كما قلت القول أنه صلى الله عليه وسلم فسر كل آية وكل مفردة غير صحيح.

### ❖ التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم

الصحابة رضي الله عنهم نقلوا القرآن للأمة ومما نقلوه لهم تفسير القرآن الكريم وكانوا أفهم الناس وأعلم الناس لأحكامه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه نزل بلغتهم وقد قال ابن خلدون في مقدمته "إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، ولكن الصحابة يتفاوتون في العلم أيضاً فمنهم من كان متبحراً في علم التفسير ومنهم من كان متبحراً في بعض علوم القرآن كاسباب النزول والناسخ والمنسوخ ومنهم من كان منشغلاً برواية الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"، المهم أنهم كانوا في خير وعلى خير وإلى خير رضي الله عنهم، ولذلك كان يشكل عليهم بعض الكلمات مثل عمر رضي الله عنه روى عنه أبو عبيد القاسم بن سلام في الفضائل أنه قرأ قول الله جل وعلا {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} قال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال إن هذا هو التكلف يا عمر، فعمر أشكل عليه معنى الأب وهذا لا يقلل من قدره رضي الله عنه، أيضاً ابن عباس رضي الله عنهما يقول: كنت لا أدري ما معنى {فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} حتى أتاني أعربيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها -أي أنا ابتدأتها- فعرف ابن عباس أن معنى فاطر أي المبتدئ الخالق سبحانه وتعالى".

### والصحابة رضي الله عنهم كانوا يعتمدون في تفسيرهم على أمور كثيرة من أهمها:

○ أولاً: القرآن الكريم فقد كانوا يفسرون القرآن بالقرآن فهو أعظم وأشرف ما يفسر به القرآن وأحسنها طريقة في التفسير مثل قوله تعالى "أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم" فأين الذي يتلى علينا؟ جاء في قوله تعالى:

{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ } فهذه الآية فسرت تلك الآية التي أشير فيها أن هناك مستثنى سيأتي إلا ما يتلى عليكم

○ ثانياً: كانوا يعتمدون على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد سألوا رسولنا صلى الله عليه وسلم عما أشكل عليهم وكان صلى الله عليه وسلم كان يبين ويوضح ما أشكل على الصحابة رضي الله عنهم ومن أوضح الأدلة على ذلك ما "روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه، فذهب ذهنهم إلى أنه الظلم العام فكلنا يظلم نفسه ويظلم الآخرين وقد يقع ويزل في الظلم صغيره وكبيره، فقال - صلى الله عليه وسلم = (إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعو ما قال العبد الصالح يعني لقمان { إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } إنما هو الشرك)، رواه الشيخان والإمام أحمد، ففسر الرسول - صلى

الله عليه وسلم - الظلم هنا بأنه الشرك،

○ **ثالثاً: الفهم والاجتهاد** فقد كانوا رضي الله عنهم أعلم هذه الأمة وأقلها تكلفاً وأدقها استنباطاً وفهماً فإذا لم يجدوا تفسيراً في كتاب الله عز وجل أو في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم استنبطوا بما أوتوا من الأدوات وأعظمها المعرفة بلغة العرب وقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضورهم أسباب التنزيل ونحو ذلك، وهم الموفقون المسددون في هذا الباب وغيره.

اشتهر في التفسير من الصحابة رضي الله عنهم جمع كثير ونقلت الأمة عنهم الشيء الكثير ولا يزال علمهم ينتقل جيلاً بعد جيل، فالمشتهر منهم الخلفاء الأربعة الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأيضاً ابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وعائشة - رضي الله عنهم - أجمعين وهم يتفاوتون في ذلك قلة وكثرة وأيضاً في الرواية عنهم صحة وضعفاً،

وهذا التفسير المروي عن الصحابة له قيمته وله مكانته ولا شك أن تفسير الصحابي وهو مذهب جمهور العلماء له حكم المرفوع إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول وما ليس للرأي فيه مجال، إذا كان سبب نزول مثلاً يقول نزلت الآية في كذا وكذا حصل كذا وكذا فنزلت الآية، هذا له حكم المرفوع لأنهم شاهدوا التنزيل وحضروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أيضاً إذا لم يكن للرأي فيه مجال فقولهم مقدم على غيرهم في تفسير الآية.

أما الموقوف على الصحابي في التفسير بعض أهل العلم يقول يجب الأخذ به، وهذا هو الحق أن يؤخذ بالموقوف على الصحابي ولا يعارض به غيره، لكن إن اختلفت أقوال الصحابة مثل قوله تعالى "أو لا مستم النساء" اختلف المروي عن الصحابة عن ابن عباس وابن مسعود، منهم من قال اللمس هنا هو مس المرأة، ومنهم من قال الجماع، فهذه المسألة تحتاج إلى نظر وإلى ترجيح وإلى جمع الأدلة ومناقشتها هذا التفسير المروي عن الصحابة روي لنا والله الحمد من كتب التفسير بالمأثور كتفسير عبد الرزاق وتفسير الطبري وتفسير ابن أبي حاتم وأيضاً من جاء بعدهم ونقل لنا جملة من أقوالهم.

### ❖ **التفسير في عهد التابعين رحمهم الله**

نقل علم الصحابة في كل شيء ومن ذلك التفسير التابعون رحمهم الله تعالى وقد أكبوا على مجالسهم ينهلون من علومهم يسألونهم عما أشكل عليهم وينقلون ما ذكروه رضي الله عنهم في علم التفسير، وقد اشتهر بعض أعلام التابعين بالعناية بالتفسير مثل مجاهد بن جبر وسعيد بن جبیر،

هؤلاء التابعون رحمهم الله اعتمدوا في تفسيرهم على ما جاء في كتاب الله عز وجل وعلى ما جاء في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأيضاً ما روه عن الصحابة رضي الله عنهم وإذا لم يجدوا شيئاً

استنبطوا وتأملوا ما يفتح الله عز وجل عليهم من فهم لنصوص كتاب الله جل وعلا. هذا الإقبال على مدارس الصحابة والنهل من علومهم وبخاصة في علم التفسير بعض الباحثين يقسم تلك اللقاءات وتلك المجالس إلى ثلاث مدارس وعندما نقول مدارس لا نعني بذلك المصطلح الحديث بل نقصد بذلك لقاءات ومجالس كانوا يجلسونها مع الصحابة رضي الله عنهم ولهم مميزات وطرائق في الأخذ منهم وهم يقولون أن هناك ثلاث مدارس:

■ **الأولى** مدرسة ابن عباس في مكة وأشهر تلاميذه سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة مولاه وطاوس بن كيسان وعطاء بن أبي رباح.

■ **والثانية** مدرسة أبي بن كعب في المدينة وقد روى عنه كثير مثل زيد بن أسلم وأبو العالية ومحمد بن كعب القرظي.

■ **والثالثة** مدرسة ابن مسعود في العراق ومن تلاميذه علقمة بن قيس ومسروق والأسود بن يزيد ومرة الهذلي وعامر الشعبي والحسن البصري وقتادة بن دعامة السدوسي وغيرهم.

والمروي عن التابعين له أهميته وله قدره وسلفنا الصالح أوتوا من الفهم والاستنباط والتفسير لكلام الله جل وعلا ما لم يؤت من بعدهم، فهم أصحاب القرون المفضلة الذين أثنى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، لكن الخلاف هنا لو لم يُؤثر شيء عن الصحابة لا في القرآن ولا في السنة ولا عند الصحابة رضي الله عنهم هل يؤخذ بأقوالهم وفي الحقيقة ذهب جماعة أنه لا يؤخذ بتفسيرهم لأنهم لم يشاهدوا القرآن والأحوال التي نزل عليها القرآن فيجوز عليهم الخطأ، وهناك قول آخر وهو مذهب **أكثر المفسرين أنه يؤخذ بتفسيرهم وهذا هو الراجح** مع تفصيل يسير وهو أنه إذا أجمع التابعون على رأى فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره، هذا إذا أجمعوا، أما إذا كان بينهم خلاف في تفسير آية فنحن ننظر إلى المرجحات والأمور الأخرى.

وتفسير التابعين طابعه طابع التلقي والرواية وفي زمنهم كثر التوسع عند بعضهم في الرواية عن أهل الكتاب كانوا يروون عن عبدالله بن سلام وعن كعب الأحبار ووهب بن منبه هؤلاء كانوا من أهل الكتاب ومن ثم أسلموا وكان التابعون ينقلون عنهم ولذلك دخلت الإسرائيليات في كتب التفسير وسيأتي كلام بإذن الله تبارك وتعالى،

### ❖ **التفسير في عصور التدوين :**

التفسير قبل هذه العصور لم يدون قد يكون هناك شيء مكتوب في الصحف وإنما لم يدون، فالتدوين بدأ في أواخر عهد بني أمية وأوائل عهد العباسيين وحظي الحديث النبوي بالتدوين في بداياته ومع ذلك كان هذا الحديث يشتمل على التفسير، البخاري رحمه الله جعل كتاباً للتفسير، الإمام مسلم أيضاً الترمذي رحمه الله جعل أبواب في التفسير وأبواب في القراءات وأبواب في فضائل القرآن وغير ذلك،

بعد ذلك اعتنى بعض العلماء بالكتابة والتدوين مثل يزيد بن هارون السلمي وشعبة بن الحجاج وسفيان بن عيينة رحمهم الله، ثم اشتهرت بعد ذلك كتب كثيرة في التفسير مثل كتب عبد الرزاق بن همام الصنعاني وتفسير الإمام ابن جرير الطبري وتفسير ابن أبي حاتم وغيرهم ثم بعد ذلك توسعت كتب التفسير وكان لها اتجاهات وأغراض أخرى إما لها توجه في الأحكام الفقهية أو في أمور البلاغة والنحو أو حتى بعضهم أخذها مجالاً لدس عقيدته الفاسدة السيئة مثل كتاب الكشاف للزمخشري وسيأتي الكلام عنها بإذن الله عندما نتحدث عن كتب التفسير بالرأي.

### ❖ تأثر أهل التفسير بالعلوم الأخرى

تأثر أهل التفسير بالعلوم الأخرى مثل من كان عالماً باللغة تجده يتوسع بذكر أوجه الإعراب والنكات البلاغية واللطائف البيانية، وإن كان له عناية بالفقه توسع في الأحكام الفقهية ومن كان عنده عناية بالفلسفة وعلم الكلام تأثروا بهذا، وأيضاً من كانت عقيدته فاسدة دخل في مجال التفسير وبدأ يدس عقيدته الفاسدة في ثنايا التفسير.

### ❖ التفسير الموضوعي

التفسير الموضوعي هو نوع من أنواع التفسير والتفسير الموضوعي،  
- إما أن يؤتى بكلمة من القرآن وتجمع الآيات التي جاءت بهذه الكلمة مثل "كلمة العدل" في القرآن الكريم ويستنبط تعريفه وأسبابه وما إلى غير ذلك ومثل "كلمة التقوى" جمع الكلام عن التقوى من كلام الله عز وجل هذا نوع،

والنوع الآخر أن يأخذ التفسير الموضوعي لسورة معينة مثلاً سورة الإسراء دراسة تفصيلية موضوعية، يعني يفسرها موضوعياً يقسم السورة إلى كذا وكذا مثل: أن يقسم سورة الكهف يقسم القصص التي جاءت فيها يتكلم عنها هذا نواحي وأنواع من أنواع التفسير الموضوعي وقد اشتهر وكثر في هذا الزمن وفيه مؤلفات كثيرة مثل كتاب دراسات في التفسير الموضوعي للدكتور زاهر بن عواض الألمي وأيضاً مباحث في التفسير الموضوعي لدكتور مصطفى مسلم وغير ذلك مما كتب في هذا الموضوع،